تقديم

لاهوت التعايش، وماذا بعد؟

أحمد فهمي عبد السلام

امتازت المجتمعات العربية والإسلامية كمجتمعات تعددية بإمكانية التعايش السلمي بين طوائفها لمئات السنين دون الحاجة إلى اتفاقيات وإعلانات تفاهم ودساتير وكذلك دون الحاجة إلى لاهوت للتعايش. فالتعايش السلمي كان من المسلمات وأن حفظت لنا كتب التاريخ بعض مواضع الأزمات.

وإلى وقت قريب عاش في مصر وبلاد الشام المسلم والمسيحي واليهودي والبهائي واليزيدي جنبًا إلى جنب دون تمييز سلبي أو إيجابي لأي من الطوائف المذكورة أو المنتمين إليها.

لكن مع أفول شمس الخلافة العثمانية ونشؤ النزعات القومية والوطنية تعثرت المجتمعات العربية والإسلامية فلم تضع عقدًا اجتماعيًّا يحفظ الوفاق والتوازن بين أعضائها بل انتشرت فيها نزعات ونزاعات عصبية حتى بين أبناء الدين الواحد والطائفة الواحدة ثم عجلت الحركات المتطرفة بتأجيج نار التعصب والعداء، ما دعا للبحث في الوازع الأكبر وهو الدين كما فهمه ابن خلدون عن حل يطفأ نار الفرقة ويعيد تلاحم أبناء الأمة – أمة الإنسان – على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم.

فكان لاهوت التعايش وهو مطلب إنساني سبيلًا للبحث عن علاج شاف ومنهجا لفض النزاع والتقارب والتعاون على الخير – خير البشرية جمعاء. ولعل القارئ العربي يجد غضاضة في لفظة لاهوت ويفضل مصطلح فقه التعايش عنه. لكن مصطلح «لاهوت التعايش» قد اخترناه لغرضين، أولهما الخروج من ضيق المجال الفقهي في التناول إلى رحاب الفلسفة اللاهوتية والتطبيقية وثانيهما أن مصطلح «لاهوت التعايش»

هو المستعمل في الأكاديميات الغربية وخاصة في معاهد دراسات الدين الإسلامي للمسلمين في ألمانيا والمعروفة باسم معاهد اللاهوت الإسلامي في الجامعات الألمانية، ففي ذلك تقريب للمفاهيم.

وقد نظمنا في المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت وأعني هنا مكتبها في القاهرة سلسلة من المؤتمرات تحت عنوان «نقاشات ترابطية» لبحث ظاهرة الترابطية في العلاقة بين الإنسان والدين والبيئة. فالإنسان يرتبط بدينه ويتأثر ببيئته التي تؤثر هي بدورها على الدين وتكوين وإعادة تشكيل النظم القيمية والأحكام العملية. فالإنسان والدين والبيئة يشكلون معا علاقات ترابطية، يرتبط فيها كل واحد بالآخر ويتأثر بالآخر سلباً أو إيجاباً. ويتناول البرنامج البحثي «نقاشات ترابطية»، في أربع مؤتمرات موزعة بين القاهرة والإسكندرية والشيخ زايد وإفران المغربية في الفترة بين عامي 2022 و2024، ديناميكية التأثر والتأثير من عدة جوانب منها طبيعة وأساليب وجوانب التأثير والتأثر من منظور علم الاجتماع السياسي واللاهوت والأنثروبولوجيا ومقارنة الأديان دون الإخلال بالسياقات الزمانية والمكانية، مما يسمح بدراسة الظاهرة. وأيضاً من الناحية التاريخية. ومن أجل مناقشة الظاهرة كان من المناسب التعرف على المؤسسات الاجتماعية التي تتجلى فيها الظاهرة كالزواج على سبيل المثال. كما أمكن نمذجة قضايا أخرى، مثل التعليم، والحفاظ على البيئة، وكتابة التاريخ الاجتماعي.

وقد استعرنا مفهوم الترابطية (Interdependences) من علم الاجتماع حيث يعني المصطلح الاعتماد المتبادل. والاعتماد المتبادل «الاجتماعي» يعني أن الناس متناغمون ويعتمدون على بعضهم البعض في وجودهم. أما في النظرية الاقتصادية، فيحدث الاعتماد المتبادل عندما تؤثر المتغيرات الاقتصادية على بعضها البعض. إذا فالاعتماد المتبادل هو سر التعايش وترابط المجتمعات.

وخصصنا المؤتمر الأول للنظر في لاهوت التعايش من منظور تعددي وهو المؤتمر الذي انعقد في القاهرة في السادس والعشرين والسابع والعشرين من شهر يوليو لعام 2022 والذي تجتمع بعض من أوراقه البحثية بين دفتي هذا الكتاب، فحرصنا على مشاركة أساتذة ومتخصصين من مشارب شتى –فمنهم المسلم والمسيحي

والأزهري والقس والعلماني والمتدين ومن المسلمين السني والشيعي- وكذلك من دول مختلفة جغرافياتها وثقافاتها، ليمكننا التوصل إلى لاهوت جامع يفتح الأبواب المؤصدة بين الأنا والآخر ويمنح البشر فرصة لالتقاط أنفاسهم ومعرفة بعضهم البعض وفق المنهج الإلهي في سورة الحجرات، الآية 13: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير).

وددت لو أن كافة أوراق المؤتمر قد قدمت للنشر كي يمكننا تقديم تصور كلي للأوراق التي قدمت ونوقشت في المؤتمر وما بها من منهجيات وأراء في سبل التعايش. ومع ذلك فالكتاب الذي بين أيديكم مازال يحمل بين طياته خلاصة تعددية لما تناول المؤتمر من أوراق بحثية، فكل التقدير والشكر لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب إلى النور من باحثات وباحثين وأستاذات وأساتذة نفع الله بعلمهم نبراسا لكل من يحفر طريقه نحو النور، لعلنا نتعايش.

وأتقدم بالشكر للزميلة العزيزة والباحثة الرائعة الأستاذة الدكتورة ياسمين أمين التي لها فضل كبير في نجاح المؤتمر، وكذلك أقدم شكري لدار نشر مكتبة البحر الأحمر والعاملين فيها الذين أخلصوا في إخراج هذا الكتاب في حلته البهية هذه.

أحمد فهمي عبد السلام

مقرر المؤتمر